بورتيه

نجاة نوار

نسمات باردة ورذاذ خفيف يطرق زجاج النافذة ويحدث ارتطامه بأوراق الشّجيرات المحاذية للمبنى هسهسة تداعب أوتار القلب.

يجلس الى مقعده. تنفرج شفاهه وهو يلقي بصره، ها هي هنا لا تخلف موعدا. يمد يمناه يصافحها ويتحسّس بأناة تفاصيلها الدّافئة فتضطرب بين كفيه وتتمايل خجلة ويضوع عطرها سخيّا يملأ خياشيمه ويداعب حواسّه. يملأ ريحها رئتيه في انتشاء ويقرب شفاهه يرتشف قبلة ظمأى. ينفذ مدامها الى مسالك جسمه تضخ بها شرايين دفء بلون الحياة ويتسلل عبقها الى أزقّة عقله يكنس كلّ رائحة وكلّ مذاق سواها.

يضع فنجانه بأناة مبتسما فتبتسم من خلف الغلالة الشفيفة، تمد أنامل قدت من شمع وتأخذ قطعة واحدة كعادتها وتلقيها بفنجانها.

كانت خرافية الحسن هذا الصباح أو هكذا خيّل اليه. أنصت باهتمام لحديث عينيها وهو يتأمّل جدائل شعرها المنسدلة بغير ترتيب على كتفيها. جبينها كان مشرقا وعيناها تشعّان ألقا غريبا.

راقب حركة يدها وهي تحرك بغنج الملعقة الفضّية الصّغيرة لتذيب سكّرها. حركات دائريّة رتيبة أعادت بذهنه بوصلة الزّمن الى يوم لقائهما الأوّل. كان يوما التصق بزوايا الذّاكرة ورسخ بوجدانه ورسم لأقداره طريقا جديدا تكون فيه لهذه

المرأة دور البطولة والاخراج.

زارته بمكتبه يومها، إثر فترة تعارف قصيرة بالهاتف. محادثات جعلته يسعى الى معرفة المزيد عن تلك الفتاة التي ملكت برقي ثقافتها وطرق تفكيرها حيزا من عقله. لم يكن يؤمن بالحبّ من أول نظرة بقدر ايمانه بالتّجاذب السّحري من أوّل محادثه هو على خلاف الكثير من أصدقائه يؤمن بأن جمال المرأة لا يرى بل يكتشف. وقف يحيّيها وعلى شفتيه ابتسامة صغيرة: "تفضّلي "حاول ان يخفي انبهاره باتساع عينيها وجمالها الآسر. طلب اليها الجلوس بإيماءة صغيرة. جلست مرتبكة، لم يكن بمفرده عرّفها الى ضيفه. مرّت لحظات بطيئة انصرف أثرها ذلك الضيف. تحدّثا في مواضيع مختلفة. كان لديها الكثير لتقوله لكن وقع اللّقاء الأوّل أربكها، كانا يثرثران مطوّلا بالهاتف والآن تعقد الحيرة والخجل لسانها.

شعر بمدى توترها فنظر الى ساعته وقال متحججا "لقد تأخر الوقت، أظن انه علينا المغادرة "ووقف ليأذن لها بالانصراف.

حينها انكمشت كلماتها المتدافعة وتهاوت أمام بوّابة الحنجرة الموصدة. شعرت بقبضة قاسية تعتصر قلبها وهي ترى صرح أمال عريض رسمته مخيّلتها ينهار ويتهاوى بغتة كقصر رملي اجتاحته موجة عاتية. لم تنبس بحرف وهمّت بالمغادرة لكنّها تعثّرت فجأة كما تعثرت بحلقها الحروف. وقبل أن تقع أرضا وجدت نفسها بين ذراعيه. لقد سارع ليسندها. ارتجفت انفعالا وسالت دمعة حرى. كانت مبعثرة جدا وكان عناقه الصغير مواساة لها الا انه كان كافيا ليرمم شظايا البلور المكسور.

لحظات خدر محبّب تشبه الحلم. أفاقت من غيبوبتها. انتزعت نفسها من بين ذراعيه. نزلت الدرج تقاذفتها مشاعر متباينة. خوف ورجفة وسعادة غريبة. هناك تركت بعض أناها معه.

"كيف سمحت لنفسك بالانهيار هكذا؟ أين ثقتك بنفسك؟ أين الكبرياء؟ أين الاعتداد؟" ."كيف أهرب ربّاه من وخزات الضّمير ومن صفعات التّأنيب؟

أما هو فقد استند الى أقرب جدار مغمض العينين تسجل حواسه لحظات تاريخية تقاس بعمق النبض. وقف يخزّن بشرفات الذاكرة رائحة عطرها. لون عينيها. ملمس شعرها. نبضها المتسارع وهي بين يديه. رحلت لكنّها بداخله تسافر. سحب نفسا عميقا. أسرع الى النّافذة يراقبها وهي تعبر الشّارع. أدرك حينها أنه خلق ليكون لها وخلقت لتكون منه واليه.

قطع شروده صوت رنين الهاتف كأنّه قادم من أزمنة أخرى. وضع إطار الصورة برفق في ركنه المعتاد من المكتب ولسان حاله يقول" أنت أجمل أقداري. أنت عالمي. أكونك فيكتمل معنى وجودي".

رفع سمّاعة الهاتف وباشر عمله تطوّحه أرجوحة السّعادة بين شرفات الفرح.